المبحث الثاني
التعارف

التعارف من أول الواجبات التي لا بد أن يقوم بها الدعاة فيما بينهم، وهذه الأهمية يمكن بيانها في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم التعارف:

مصدر تعارف القوم أي عرف بعضهم بعضاً وهو من مادّة (ع ر ف) الَّتي تدلُّ على السّكون والطّمأنينة، لأنَّ من أنكر شيئاً توحَّش منه ونبا عنه[(١)].

وهو أن يعرف النَّاس بعضهم بعضاً بحسب انتسابهم جميعاً إلى أب واحد وأمٍّ واحدة ثمَّ بحسب الدِّين والشُّعوب والقبائل، بحيث يكون ذلك مدعاة للشَّفقة والألفة والوئام لا إلى التّنافر والعصبيّة[(٢)].

فمفهوم التعارف في الإسلام له بعد قائم على «أن أمة الإسلام تؤسس بطريق التعارف بين أبناء البشرية، فالتعارف حوار العقول والنفوس، وحوار التوجُّهات والمنعطفات والمعوقات، الحوار الذي يستمع أطرافه بعضهم إلى بعض، فيحترمون الآراء والمعاناة والتوجهات، لا أحد يصادِر رأي أحد، ولا أحد يفرِض وجهةَ نظره على الآخر فرضاً»[(٣)].

ثانياً: أهمية التعارف بين الدعاة:

فالتعارف قاعدة اجتماعية عظيمة، وأصل من أصول النظام الاجتماعيِّ في

---

(١) مقاييس اللغة ٤/ ٢٨١.

(٢) نضرة النعيم ٣/ ١٠٠٤.

(٣) منهج التعارف في الإسلام الباشا حسن ص ٨.

الإسلام، وهو مقصد أصيل من خلق الناس على اختلاف شعوبهم وقبائل فإذا عطله الناس في حياتهم فقد عطلوا مقصد من مقاصد الخلق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:١٣].

«فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر، ولكن جعلكم شعوباً وقبائل وعائلات وأسراً لحكمة التعارف المقتضي للتعاون، إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد. فتعارفوا وتعاونوا ولا تفرقوا لأجل التفاخر بالأنساب»[١].

لذا كان التعارف أول واجب على الدعاة فيما بينهم، وهو ضرورة دعوية ومقصد رباني؛ قال رسول الله ﷺ: **(الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)**[٢]، أي: «المراد بالتعارف والتناكر التقارب في الصفات والتفاوت فيها، لأن الشخص إذا خالفتك صفاته أنكرته، والمجهول ينكر لعدم العرفان»[٣].

واذا كان التعارف مهمّاً بين الناس فهو أهم في حق الفئة التي تحمل أمانة الدين وتبلغ ميراث الرسول ﷺ إلى الناس أجمعين، فالتعارف مبدأ دعوي، واستراتيجية دعوية للمستقبل الدعوي.

والدعوة إلى التعارف بين الدعاة يعني إيجاد القواسم المشتركة بين الدعاة، فيتعرف الداعية على نفسه، ويتعرف على إخوانه الدعاة، وربما كان إخوانه الدعاة من عوامل معرفته بنفسه، فإذا حصل هذا سيدرك كل داعية دَورَه في الدعوة ودور إخوانه الدعاة فيحصل بذلك الاستخلاف في الأرض.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٤/ ٢٩٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة (٣٣٣٦).
(٣) دليل الفالحين ٣/ ٢٣٤.

فبالتعارف بين الدعاة يحصل الحب والودُّ، والتعاون على الخير ومشاريعه، وتبادل الأفكار والخبرات والنصح، ويتحد الدعاة صفَّاً صفَّاً.

وأخيراً التعارف بين الدعاة مطلوب شرعاً، وإنه قد يكون منه ما هو ضروري، وقد يكون حاجيَّاً أو تحسينيَّاً حسب احتياج الدعوة.

ثالثاً: نماذج من التعارف:

من الشواهد على التعارف من السنة النبوية أن النبي ﷺ كان حريصاً على أن يعرفه الصحابة حق المعرفة، حتى قال جعفر رضي الله عنه: **(حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه)**[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن وفد عبدالقيس أتوا النبي ﷺ فقال: **(من الوفد؟ أو من القوم؟)** قالوا: ربيعة. فقال: **(مرحباً بالقوم، أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى....)**[(٢)].

وكما فعل رسول الله ﷺ مع الغلام عداس عندما رجع من الطائف بعد أن آذاه أهل الطائف فإنه ﷺ لما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانيَّاً يقال له عداس. وقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ. ثم قال له: كل. فلما وضع رسول الله ﷺ يده في الطعام قال: **(بسم الله)** ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ: **(ما اسمك؟)** فقال: عداس، فقال له ﷺ: **(ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك)**؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى.

---

(١) مسند أحمد١/ ٢٠١ برقم (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم (٨٧).

فقال رسول الله ﷺ: **(من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟)** فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: **(ذلك أخي كان نبيّاً وأنا نبي)**[(١)].

فالنبي ﷺ قد عرف اسم عداس، ثم سأله عن بلده، وعندما أراد سؤاله عن بلده ناداه باسمه بأسلوب رقيق ورحيم فيه من الود وحسن الحديث، ثم سأله عن دينه، وكان ذلك مدخل لرسول الله ليعلمه، فأظهر له محاسن بلده وذلك أن منها نبي من أنبياء الله، وربط الرسول بينه وبين عداس وأهل بلده بوجود صلة الأخوة النبوية بينه وبين يونس عليه السلام.

ولأن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار عند مقدمه المدينة[(٢)].

وكذلك قصة بقي بن مخلد مع الإمام أحمد، فقد رحل من الأندلس إلى بغداد، بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل فذهب يستدل على منزله، وكان الإمام أحمد وقتها في المحنة ممنوعاً من التحديث، فلما دقَّ عليه بقيٌ خرج إليه، **وعرَّف بقيٌّ بنفسه، فسأله الإمام أحمد، أين موضعك؟** فقال: جئت من المغرب الأقصى، وبلدي الأندلس. **قال: إن موضعك لبعيد**[(٣)].

وقال الإمام أحمد: «قدمت صنعاء، أنا ويحيى بن معين، فمضيت إلى عبدالرزاق في قريته، وتخلف يحيى، فلما ذهبت أدق الباب، قال لي بقال تجاه داره: مه، لا تدق، فإن الشيخ يُهاب. فجلست حتى إذا كان قبل المغرب، خرج فوثبت إليه، وفي يدي أحاديث انتقيتها، فسلمت، وقلت: حدثني بهذه رحمك الله، فإني رجل غريب. قال:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢١، دلائل النبوة للبيهقي في المقدمة ص ٦٧، السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٥١، والقصة اشتهر وجودها في عدة مصادر.

(٢) والحديث أخرجه البخاري (٢١٧٢)، ومسلم (٢٥٢٩) وغيرهما.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٢-٢٩٤، مختصراً.

ومن **أنت**؟ وزبرني. قلت: أنا أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر؟ وضمني إليه، وقال: **بالله أنت أبو عبد الله**؟ ثم أخذ الأحاديث، وجعل يقرؤها حتى أظلم»[(١)].

رابعاً: فوائد التعارف بين الدعاة:

للتعارف بين الدعاة فوائد كثيرة نجملها في النقاط التالية:

١- التعارف هو أول مرحلة من مراحل بناء الحب بين الدعاة إلى الله.

٢- يقوي روابط الأخوة في الله بين الدعاة.

٣- يجد الداعية له أعواناً وأنصاراً حيثما كان.

٤- يورث الحب في الله بين الدعاة وينميه.

٥- يقضي على التناحر والتخاصم بين الدعاة.

٦- يزيل التمايز المنهجي والانتماء الحزبي ويبدله بالألفة والوئام.

٧- هو سبيل للتعاون بين الدعاة على البر والتقوى وتبادل المصالح ودفع المفاسد.

٨- يورث السكينة والطمأنينة القلبية بين الدعاة؛ لأن من عرف شيئا اطمأن إليه.

٩- الشعور بالأنس والتكامل والقوة بين الدعاة.

١٠- التكامل في القيام بأعباء الدعوة، زيادة الإنتاج الدعوي؛ وذلك من خلال استثمار الأموال والطاقات والأوقات التي لا تُمنح لأحد في الغالب إلا بحسب العلاقات أو المصالح المشتركة.

١١- تبادل الخبرات والتجارب الدعوية.

١٢- الحماية والنصرة؛ حيث تُشكّل العلاقات الجيدة حماية للداعية تمكّنه من نشر دعوته الإصلاحية.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٩٢.

خامساً: وسائل التعارف بين الدعاة:

يمكن إبراز مجموعة من الوسائل المعينة على التعارف بين الدعاة مثل:

١- أن يعرف الداعية أهمية وثمرة المبادرة بالتعارف بينه وبين إخوانه الدعاة.

٢- الابتسامة وطلاقة الوجه لإخوانه الدعاة هي أول الأعمال التي ينبغي على من أراد التعارف بالناس أن يهتم بها، فلا تعارف بلا ابتسام.

٣- المصافحة والإقبال على الأخ الداعية ترحيب وتقدير واحترام.

٤- تخير الظرف والحال للتعارف، فلكل مقام مقال، وينبغي أن يكون الداعية إلى الله كيساً فطناً ذكيًّاً، يختار الظرف الملائم للتعارف والوقت الملائم له فعندئذ يكون النجاح له أقرب.

٥- أن ينوي به وجه الله، فلا يكون تعارفه لمصلحة دنيوية، أو لأهداف تصنيفية، وامتحانات منهجية.

٦- إقامة الاجتماعات الدورية بين الدعاة للتعارف سواء على المستوى المكاني أو العمل الدعوي الواحد.

سادساً: حدود التعارف بين الدعاة:

التعارف المثالي بين الدعاة وأن يشمل الأمور التالية:

١- الاسم ويفضل أن يكون ثلاثيًّاً، وإن كان له كنية أو اسم شهرة أو اسم محبب إليه حتى تناديه به.

٢- البلد والقرية والمنطقة والنشأة والإقامة.

٣- الحالة الاجتماعية وعدد أولاده وأسمائهم ومستوياتهم وحالتهم الصحية.

٤- تخصصه العلمي أو مهنته أو وظيفته وتخصصه في الوظيفة.

٥- والتعرف على الوالدين والإخوة والأخوات.

٦- المعرفة العامة بالحالة المادية والصحية.

٧- السمات الشخصية وما يحب وما يكره والمواهب.

٨- معلومات التواصل الإلكتروني (هاتف، جوال، إيميل).

٩- الميول والاتجاهات العلمية والدعوية.

١٠- دوائر التأثير ودائرة الاهتمام.

١١- التجارب والمواقف الدعوية السابقة.

١٢- عمل معلومات يسيرة عن الزوجة وتخصصها العلمي.

سابعاً: تنبيهات وضوابط في التعارف بين الدعاة:

١- يتأتى التعارف الحقيقي بطول الصحبة والمعايشة والمشاركة في الأعمال الجماعية المختلفة سواء كانت دعوية أو اجتماعية.

٢- قد لا يحتاج الداعية إلى معلومات كثيرة عن إخوانه وتجاربهم في الأعمال الدعوية التي لها زمن محدد، ولكن يحتاجها الدعاة في البرامج والمشاريع الدعوية طويلة المدى التي تعتبر جزء من حياة الداعية.

٣- كل جزئية من جزئيات التعارف لها أهميتها في تقوية الروابط بين الدعاة وتوظيفها التوظيف الدعوى المناسب ومراعاتها عند المواقف والأزمات.

٤- ينبغي أن يُضبط التعارف بضوابط تجعله يحقِّق مصالح الدعوة، ويدفع الضررَ عن الدعاة والدعوة، وأن يكون هدف الدعاة من هذا التعارف هو تبليغ الدين للناس كافة وتعريفهم به.

٥- من أهداف التعارف بين الدعاة تبادل المعارف والتجارب بغرض التطوير والإبداع في العمل الدعوي.

المبحث الثالث
التآلف

التآلف من الواجبات المهمة بين الدعاة وهي ثمرة من ثمرات التعارف، وهو مطلب شرعي ومقصد دعوي مهم في الإسلام عموماً، وبين الدعاة خصوصاً.

ونبرز هذا الواجب في النقاط التالية:

☜ أولاً: مفهوم التآلف:

التآلف لغة: من الائتلاف وهو مأخوذ من مادّة (أل ف) التي تدلُّ على انضمام الشَّيء إلى الشَّيء[1].

الألفة والإلف: اجتماع مع التئام ومحبَّة[2]، أمَّا التَّألُّف: فهو المداراة والإيناس لمن هم حديثو عهد بكفر ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إلى أيديهم من المال[3].

والأُلفة: ميلان القلب إلى المألوف[4]، وقيل: الألفة اتّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش[5].

☜ ثانياً: الشواهد على التآلف بين الدعاة:

امتن الله تعالى على عباده المؤمنين بنعمة التآلف، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

(١) مقاييس اللغة ١/ ١٣١ بتصرف يسير.
(٢) نضرة النعيم ٢/ ٣٩٥.
(٣) النهاية لابن الأثير ١/ ٦٠، ولسان العرب ١/ ١٠٨.
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ١١٤، التوقيف على مهمات التعاريف ص٦٠.
(٥) التعريفات للجرجاني ص٣٥.

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. أي: «فأصبحتم بتأليف الله ﷻ بينكم بالإسلام وكلمة الحقِّ، والتَّعاون على نصرة أهل الإيمان، والتّآزر على من خالفكم من أهل الكفر، إخوانا متصادقين، لا ضغائن بينكم ولا تحاسد»[١].

فقد «كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة، فألف الله بين قلوبهم بالإسلام، وقذف فيها المحبة، فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخواناً متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد، قد نظم بينهم وأزال الاختلاف»[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «النِّعمة تكفر، والرَّحم تقطع، وإنَّ الله تعالى: إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ثمَّ تلا ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾»[٣].

فقد «ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله ﷺ، واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة، وذلك لما نظم الله من ألفتهم، وجمع من كلمتهم، وأحدث بينهم من التحابّ والتوادّ، وأماط عنهم من التباغض والتماقت، وكلفهم من الحب في الله، والبغض في الله ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب، فهو يقلبها كما شاء، ويصنع فيها ما أراد»[٤].

فبالائتلاف وحدنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كتابه وعلى سنة رسوله ﷺ وامتن بذلك

---

(١) جامع البيان ٧/ ٨٤.

(٢) الكشاف ١/ ٣٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٧، الدر المنثور ٤/ ١٠٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٣٤.

على رسوله ﷺ، بأن جعل أصحابه مؤتلفين، وجعلهم على قلب واحد،، جعلهم متحابين -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

وقال ﷺ: **(أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وليس منا من لا يألف ولا يؤلف)**[(١)].

☜ ثالثاً: أهمية التآلف بين الدعاة:

إنَّ التآلف من «القواعد المهمَّة التي يصلح بها حال الإنسان، وذلك أنَّ الإنسان مقصود بالأذيَّة، محسود بالنِّعمة، فإذا لم يكن آلفاً مألوفاً تخطَّفته أيدي حاسديه، وتحكَّمت فيه أهواء أعاديه، فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مدَّة، فإذا كان آلفاً مألوفاً انتصر بالألفة على أعاديه، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم، وصفت له مدّته[(٢)] عنهم، وإن كان صفو الزّمان عسراً وسلمه خطراً»[(٣)].

والتآلف بين الدعاة من خواصّ الشَّخصيَّة الدعوية فهو يؤدِّي إلى «القوَّة في التَّرابط والصِّحَّة في التَّوافق، والمتعة في التَّضام، وهو الذي يشدُّ بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض فالألفة: تجمع الشَّمل وتمنع الذلَّ»[(٤)].

والتآلف بين الدعاة يؤدي إلى التَّماسك الدعوي، واستقرار بناء العمل الدعوي، لما فيه من داع إلى التّناصر، ولما يوفّره من جوّ دعوي سليم صحيح لنشر الدعوة.

والتآلف بين الدعاة واجبٌ لأن الوحدة الإسلامية لا تتحقق إلا بتمام الألفة والتضامن بين دعاة الإسلام.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ٣٥٦، المعجم الكبير للطبراني ١/ ٣٦٢، شعب الإيمان للبيهقي ١٠/ ٣٦٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣١).

(٢) المدة هنا بمعنى معيشة الإنسان وأيام حياته.

(٣) أدب الدنيا والدين (١٤٨).

(٤) قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي د. علي خليل مصطفى ص٢٩٦- ٢٩٧.

والتآلف بين المسلمين من أعظم الجهاد في سبيل الله، قال السعدي: «فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية في جميع أفرادهم وشعوبهم، ومن أنفع الأمور أن يتصدى لهذا الأمر جميع طبقات المسلمين من العلماء والأمراء والخبراء وسائر الأفراد منهم»[١].

☜ رابعاً: نماذج للتآلف بين الدعاة:

بين السلف -رحمهم الله- ما كان بينهم من الألفة حتى ولو حصل بينهم خلاف، فالإيمان والدعوة والعلم هي التي تؤلف بينهم.

فعن مجاهد قال: رأى ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجلاً فقال: «إنَّ هذا ليحبُّني، قالوا: وما علمك؟ قال: إنِّي لأحبه، والأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[٢].

وقال أحمد بن حنبل عن الشافعي -رحمهما الله-: «الشافعي من أحباب قلبي، وقد باينَّا وباينَّاه، ما رأينا منه إلاَّ خيراً وكان شديد الاتباع للسنن»[٣].

وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيته فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة»[٤].

وقال أحمد بن حفص السعدي: «سمعت أحمد بن حنبل الإمام يقول: لم يعبر

---

(١) جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين، عبدالرحمن السعدي ص١٠.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ص ١٥٤.

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٢/ ٢٨٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٠.

الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»(١).

وعن الأوزاعيّ قال: «كتب إليَّ قتادة: إن يكن الدَّهر فرَّق بيننا فإنَّ **ألفة** الله الذي ألَّف بين المسلمين قريب»(٢).

وعن الأوزاعي، أنه كتب إلى سليمان بن مجالد: «أما بعد فإنا وإن لم يكن جمعنا واياك تلاقٍ، وإن كانت الآفاق بهم مفترقة فإن **الألفة** بحمد الله جامعة، فنسأل الله أن يجعلك وإيانا من نعمته في ذات بيننا على توفيق يدخلنا به برحمته في عباده الصالحين»(٣).

وقَالَ خَيْثَمَةُ: «شَيْءٌ هُوَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَلَا يَنْقَطِعُ: **الْأُلْفَةُ**، جَعَلَهَا اللهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ»(٤).

وقال ابن تيمية: «إن السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية، مع بقاء **الألفة** والعصمة وصلاح ذات البين»(٥).

خامساً: مظاهر التآلف بين الدعاة:

ويمكن إجمال مظاهر التآلف بين الدعاة في النقاط التالية:

١- الولاء للحق والاعتصام بالحجة والبرهان، وأن يكون مناط التآلف رضا الله ﷻ، ومن الآفات التي ينبغي الحرص على علاجها ودرئها أن يُعقد الولاء والتعاون على الأساس الحزبي أو المشيخي وإن كان على حساب الحق.

(١) سير أعلام النبلاء١١/ ٣٧١.
(٢) أخرجه أبو الشيخ عنه كما في الدر المنثور ٤/ ١٠١.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ١٩٨.
(٤) سير السلف الصالحين لإسماعيل الأصبهاني ص٧٥١.
(٥) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ٦/ ٩٢.

٢- التناصحِ والتواصي بالحق بالرحمةِ والإحسان، لا بالتشفِّي والانتقام؛ فالنصيحةُ المشفِقَةُ آيةٌ من آياتِ المحبةِ والولاء، والسكوتُ عن الخطأ يزيد من شِقَّةِ الخلافِ.

٣- التماسِ العذرِ وحُسن الظن وسلامة الصدر وحفظ السابقة ومعرفة الفضل لأهله، ونحوها من أخلاق ذوي المروءات.

٤- التطاوع بين الدعاة، لأنه يَدلُّ على صفاءِ النفس وقوةِ الشخصية وسِعَةِ الأفق، ولا يتحقق إلا بقدر كبير من السماحة والاستعداد للتوافق، والتطاوعُ لا يعني التنازلَ عن الحقِ أو القبولَ بالباطل، أو السكوت عن الأخطاء، لكنه يعني الملاينة واتساعَ الصدرِ للاجتهادات السائغة، وتقديم المصالح العامة على الخاصة، والكبرى على الصغرى، وسعة الأفق في احتواء النزاعات.

٥- العدلُ في الأقوالِ والأعمالِ والأحكامِ، مع كلِّ الدعاة وفي كلِّ حال؛ فالمخالفة الحزبيةُ لا تجيزُ البغيَ أو الجورَ.

٦- حفظُ مقادير الدعاة فيما بينهم واجبٌ شرعيٌّ، ولا يجوز أن تسقط مكانتَهم أو تهدر محامدَهم لزلةٍ عابرةٍ أو فلتةٍ عارضة.

☜ سادساً: أسبابٌ معينة على الأُلْفَة بين الدعاة:

كلما كانت القواسم المشتركة بين الدعاة أكبر كلما زادت الألفة بينهم، فالألفة يجب أن تكون واضحة الأسباب وتُبنى على الأواصر والمعايير الإيمانية.

ومن هنا كانت أسباب الأُلفة بين الدعاة أسباب كلها ربانية، لأن دعوتهم ربانية، وأهدافهم ربانية، فلا بد أن تكون سلوكياتهم ربانية، ومن تلك الأسباب:

١- التَّعارف، قال ﷺ: **(الأرواح جنودٌ مجنَّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)**[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة (٣٣٣٦).

٢- التَّواضع، فإن «خفض الجناح ولين الكَلِمَة وتَرْك الإغلاظ مِن أَسبَاب الأُلْفَة واجتماع الكَلِمَة وانتظام الأَمر ولهذا قيل: مَن لانت كلمته وجبت محبَّته وحَسُنَت أُحدُوثته، وظمئت الْقُلُوب إلى لقائه وتنافست في مودته»[١]، «فوظيفة المسلم مع إخوانه، أن يكون هيِّناً ليِّناً بالقول وبالفعل؛ لأنَّ هذا ممَّا يوجب المودَّة والأُلْفَة بين النَّاس، وهذه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع»[٢].

٣- التمسك بالدين والتقوى والتقرب إلى الله تعالى، قال ﷺ: **(إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض)**[٣].

وكان هرم بن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول:** «ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم»[٤].

وقال الأبشيهي: «التآلف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجع المقاصد»[٥].

٤- إفشاء السلام، قال ﷺ: **(أولا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم)**[٦]، «الحكمة في طلب السَّلام عند التَّلاقي والمكاتبة دون غيرهما:

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ٣٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٥٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلاق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده (٢٦٣٧).

(٤) جامع البيان ١٨/ ٢٦٢.

(٥) المستطرف للأبيشي ص ١٣٠.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها (٥٤).

أنَّ تحيَّة السَّلام طُلِبت عند ما ذكر؛ لأنَّها أوَّل أسباب الأُلْفَة، والسَّلامة التي تضمنها السَّلام هي أقصى الأماني فتنبسط النَّفس -عند الاطِّلاع عليه- أيَّ بسطٍ، وتتفاءل به أحسن فأل»(١).

٥- **الكلام اللَّين**، فالكلام اللَّين والطَّيب مِن الأسباب التي تؤلِّف بين القلوب، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٦- **القيام بحقوق الأخوة**، الدعوية والالتزام بها، من إفشاء السَّلام، وزيارة المسلم وعيادته إذا مرض، والكلام اللَّين، والتَّعفُّف عن المال والعرض.

٧- **المؤاخاة**، فقد آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، لتزيد ألفتهم، ويقوى تناصرهم.

٨- **التعفف عما في أيدي الناس**، قال ﷺ: **(وازهد فيما في أيدي النَّاس يحبَّك النَّاس)**(٢)، قال السلمي: «وأصل التآلف هو بغض الدنيا والإعراض عنها، فهي التي توقع المخالفة بين الإخوان»(٣).

٩- **حسن الخلق**، قال الْغَزالِي: «الألفة ثَمَرَة حسن الْخلق والتفرق ثَمَرَة سوء الْخلق فَحسن الْخلق يُوجب المحبة والتآلف والتوافق، وَسُوء الْخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتناكر»(٤).

١٠- **الإصلاح بين الدعاة**، قال تعال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) فيض القدير للمناوي ١/ ٤٣٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا (٤١٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٢).

(٣) آداب الصحبة ص ٧٨.

(٤) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧١.

١١- **اهتمام الدعاة بأمور بعضهم** والإحساس بمشكلاتهم وما يواجهون من عقبات، قال ﷺ: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)[١].

١٢- **التَّهادي**: لقول النَّبيِّ ﷺ قال: (**تهادوا تحابُّوا**)[٢].

١٣- **دفع السيئة بالحسنة، قال تعالى**: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

سابعاً: فوائد التآلف بين الدعاة:

١- يحقق الاجتماع والقوة بين الدعاة ويبعد الفرقة والاختلاف.

٢- التآلف بين الدعاة دليل البراءة من النِّفاق.

٣- التآلف يؤدي إلى التَّناصر وسلامة المجتمع المسلم.

٤- التآلف يهيئ جوًّا اجتماعيًّا سليماً لنموِّ الدعوة نموًّا سليماً قويًّا.

٥- التآلف يثمر التَّعاون بين الدعاة.

٦- التآلف يحقِّق التَّماسك الدعوي وتشيع روح المودَّة بين الدعاة.

٧- التآلف يوفر جوًّا دعويًّا سليماً لنموِّ الدعاة والدعوة والمدعوين نموًّا سليماً في إطار مبادئ الإسلام.

---

(١) تقدم تخريجه ص١٨٩ في القيمة العاشرة.

(٢) أخرج البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٦٩، شعب الإيمان للبيهقي (٨٩٧٦) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٦٣).

المبحث الرابع
التفاهم

التفاهم ثمرة من ثمرات التعارف والتآلف، فإذا تعارف الدعاة حصل بينهم تآلف وإذا حصل التآلف حصل التفاهم، ويمكن بيان التفاهم من خلال النقاط:

أولاً: مفهوم التفاهم:

تَفَاهَمَ القومُ: أي: أفهم بعضُهم بعضاً، واستفهمه الأمر: سأله، استفسر، استوضح، طلب منه أن يكشف عنه[١].

وتفاهم القوم: أوضح كلٌّ منهم وجهة نظره للآخر، وكَانَ بَيْنَهُمْ سُوءُ تَفَاهُمٍ: أي: تَأْوِيلٌ لأَمْرٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ فَيُسَاءُ فَهْمُهُ، وخلاف ناتج عن قصور في الفهم[٢]، واسْتَفْهَمَهُ الحَدَثَ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَهُ عَنِ الحَدَثِ وَأَمْرِهِ[٣].

وعلى هذا فالمقصود بالتفاهم بين الدعاة يجمع أمرين:

١- عرض وجهات النظر وتوضيحها، والتقريب بين الأفكار؛ ليحصل الوِئَامُ والوِفَاقُ.

٢- تصحيح فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ فُهِم عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ، فَيُسَاءُ فَهْمُهُ.

وصورة التفاهم بين الدعاة المراد تحققها هي: حالة من الأجواء الودية الصافية التي يسودها الاحترام والسكينة والتحلي بالصبر وسعة الصدر، والقدرة الجيدة على

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٧٠٤.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٧٤٨.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٦٠٦.

تجنب محاولات الضغط والسيطرة، ليحل محلها التحابب والتقارب المتبادل بين الدعاة[١].

ثانياً: أهمية التفاهم:

التفاهم بين الدعاة يزيد المحبة بينهم، ويقوي أواصر الرابطة، ويعلي من التقارب العاطفي بين أصحاب الدعوات، فإذا بالأداء الدعوي يتحسن ويتطور.

فالتفاهم يجعل الدعاة منتبهين ومركزين وواثقين في دعوتهم، ويجنبهم الوقوع في سوء الظن أو الفهم الخاطئ أو السيطرة بدون دليل.

ففي بعض المواقف الدعوية قد يسيء بعض الدعاة فهم مقاصد ونوايا إخوانهم الدعاة، وبالتالي فقد تحصل الإساءة في التقدير والاحترام فيما بينهم، ويتدخل الشيطان لتعميق الفجوة والجفوة معاً، وهو العدو المتربص الذي يؤرقه تفاهم الدعاة فيما بينهم!! وعليه كان الواجب على الدعاة أن يبحثوا في أصول التفاهم ووسائله وأساليبه وتطبيق ذلك واقعا عمليا في حياتهم الدعوية.

وخصوم الدعاة كثر فلا نسمح لهم بإفشال مشروع الفهم والتفاهم والاحترام المتبادل.

فالتفاهم بين الدعاة، ليس مشروعاً آنياً أو تكتيكيّاً، وإنما هو خيار عميق نابع من الفهم والوعي بقيم الإسلام وتشريعاته العامة.

ثالثاً: شواهد على التفاهم من سيرة السلف:

لنا في سلفنا الصالح القدوة الحسنة، قال يونس الصدفي ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: «يا أبا موسى ألا

---

(١) مقال بعنوان: هل نحن متفاهمون د. جمال ماضي، بتصرف، منشور على موقع عالم حواء.

يستقيم أن نكون إخواناً، وإنْ لم نتفق في مسألة»(١).

وعن طَارِق ابنِ شِهَابٍ قال: كان بَيْنَ خالد، وَسَعْدٍ كَلامٌ، فَذهبَ رَجُلٌ يَقعَ فِي خَالِد عِند سَعْد، فقال: «مَهْ إِنَّ مَا بَيْننا لَمْ يبْلُغْ دِيننَا»(٢).

ودخل مرةً بعضُ طلبة الحديث على الإمام أحمد؛ فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه؛ فإنه شيخ صالح، فقلنا: إنه يطعن عليك! قال: فأي شيء حيلتي؟! شيخ صالح قد بُلِيَ بي!(٣).

ما أجملها من كلمات.. إنه النموذج الشرعي في التفاهم الذي تغافل عنه كثير من الدعاة فيما بينهم.

« رابعاً: وسائل وأساليب التفاهم بين الدعاة:

للتفاهم وسائل وأساليب كثيرة منها:

١- حسن الظن بين الدعاة:

حسن الظن يؤدي إلى سلامة الصدر، وتدعيم روابط الألفة والمحبة والتفاهم بين أبناء المجتمع، فلا تحمل الصدور غلاً ولا حقداً، فالله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢].

والرسول ﷺ يقول: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا)(٤).

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٠٢.

(٢) صفة الصفوة ١/ ١٣٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣١٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٤).

«ولما كان من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، ذَكَر سبحانه النهي عنه، إِثْرَ سوء الظن»[١].

ويجر سوء الظن كذلك إلى المزيد من الذنوب، فتحصل الغيبة والبهتان حيث تلصق التهم بالأبرياء، ولذلك نبه الله على سوء الظن المؤدي إلى التجسس، ثم نهى عن الغيبة التي هي ثمرة من ثمرات سوء الظن والتجسس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وكان السلف ينبهون على حسن الظن أشد تنبيه، فعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا وأنت تجد له في الخير محملاً، ومن عَرَّض نفسه للتُّهم فلا يلومن إلا نفسه»[٢].

عن أبي قلابة، قال: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً ، فإن لم تجد فقل: لعل له عذراً لا أعرفه»[٣].

ومن المهم أن يضع الداعية نفسه مكان أخيه الداعية، وأن يحمل الكلام والفعل على أحسن الوجوه، وأن يفتح باب الأعذار لإخوانه الدعاة، وأن يتجنب الحكم على النيات أو أن يُعامل الناس بحكم مسبق.

٢- الاستماع والإنصات بين الدعاة:

هذا الأمر من الأمور المهمة لتحقيق التفاهم بين الدعاة إلى الله، ويفتقده الدعاة بشكل كبير إلا من رحم الله، فمن العجب أن تجد داعيةً أو مصلحاً يرفض التعاون مع إخوانه من الدعاة بحجة أنه سمع عنه آراءً أو أفكاراً مخالفة.

---

(١) محاسن التأويل ٨/ ٥٣٥.
(٢) تقدم تخريجه ص٢٨٤.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٨٥.

وربما كان هذا الداعية من نفس الحي أو المنطقة أو البلد، ولم يسمع منه مباشرة، وقد يسمع من أناس في بلد آخر عن هذا الداعية ويصدقهم، ثم يبدأ التراشق بينهما.

إن أهم خطوات التفاهم بين الدعاة أن يسمع بعضهم لبعض من بعض دون وساطة، وأن يرى بعضنا بعضاً في المجالس لا من خلال الشاشات.

فلا بد للدعاة أن يسمعوا من بعضهم، لا أن يستمعوا من غيرهم عن بعضهم، فالنقل لا يؤمن فيه التحريف أو سوء الفهم وغيرهما، لأن الاستماع المباشر تلتقي فيه الأجساد كما تلتقي فيه الأفهام.

وكان منهج السلف -رحمهم الله- حسن الاستماع لبعضهم، فعن عطاء بن أبى رباح قال: «إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأنى لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد»[١].

وعن الحسن قال: «إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن القول، ولا تقطع على أحدٍ حديثه»[٢].

فالإنصات الجيد يؤدي إلى التأكد من المعلومة، ويُظهر اهتمام الدعاة وتقديرهم لبعضهم، وهذا يبني علاقات طيبة بين الدعاة، ويؤدي إلى التفاهم الذي هو من واجبات الدعاة فيما بينهم.

فإن أغلب مشاكل الدعاة تبدأ من سوء تلقي الرسالة! وهذا القصور يرجع لضعف فنِّ الإنصات!! فيقاطع الأخ أخاه ولا يتفهم وجهة النظر، ويفسر الكلام على هواه، وينشغل بالرد على المتحدث دون تركيز على الرأي المطروح.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٦.

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي ص ٢٣٩.

فالاستماع الجيد هو بداية التفاهم الفعّال الناجح بين الدعاة، فعندما يتأدب الدعاة بأدب الانصات فيما بينهم تحصل القدرة على قراءة معاني الكلمات، وفهمِ مواقفِ الدعاة المختلفة في القضية.

لا بد للاستماع والإنصات بين الدعاة بحيث يستطيع أن يعبر كل داعية عن وجهة نظره، ورأيه بوضوح تام، فالاستماع بصمت وعدم المقاطعة هو كل ما يحتاجه الدعاة مع بعضهم حتى يتفاهموا.

ولا بد من الحذر من الاستماع الانتقائي؛ أي أن يسمع الدعاة لبعضهم يريدون أن يسمعوا كلاماً معيناً يتوقع أن يقوله المتحدث كي يحكم عليه!! لذا لا بد من الاستماع بتأنٍ لكل ما يريد الآخرُ أن يوصله إليك.

٣- تقديم مصلحة الدعوة:

لو حرص كل من الدعاة على تحقيق مصلحة الدعوة أولاً وآخراً قبل مصلحة نفسه، لصدق وتحقق التفاهم بينهم.

إذا تنبه الدعاة إلى هدف الدعوة ومقاصدها وعرف كل واحد قدراته، وقدرات غيره من الدعاة، وكيف أن كل داعية يستطيع أن يخدم دينه في تخصص أو مجال من المجالات فهذا مما يعين على تحقيق التفاهم، ويصبح حريصاً على نجاح إخوانه الدعاة، بل يشاركهم ويحفزهم ويدعمهم في مجالهم الذي يخدمون الدين فيه.

وينبني على ذلك إقامة اللقاءات والمشاورات، والبرامج المشتركة بين الدعاة في مصالح وهموم الدعوة، ودراسة الواقع وإيجاد الحلول والبرامج المناسبة ويعرف كل داعية دوره بين زملاءه، وهذا كله مما يعين على التفاهم ويقرب وجهات النظر ويردم هوة الخلاف.

خامساً: تنبيهات في التفاهم بين الدعاة:

هناك بعض التنبيهات المهمة تعين على ضبط واجب التفاهم، نجملها في الآتي:

١- الحذر من الآراء التاريخية لبعض الدعاة عن بعضهم، وهذا أحد المداخل الأساسية لخلق تفاهم عميق بين الدعاة، فأخطاء الإنسان ليست ثابتة ونهائية.

٢- التفاهم يبنى على قاعدة: الإقرار بحقيقة الاختلاف، ولكن هذا الإقرار بحقيقة الاختلاف لا يشرع للدعاة جميعاً أن يسيئوا إلى بعضهم البعض، سواء إلى الرموز أو الثوابت أو القناعات.

٣- ليس المطلوب من الدعاة -لكي يحصل بينهم تفاهم- أن تكون آراؤهم وأفكارهم وقناعاتهم متطابقة، لأنها إذا كانت متطابقة، فلا يحتاج إلى تفاهمٍ، لأنه أصبح هناك تشابهاً.

٤- إن التفاهم العميق بين الدعاة لا يبنى دفعة واحدة، وإنما هو بحاجة إلى مدى زمني، يبني فيه التفاهم خطوة خطوة.

٥- التفاهم بين الدعاة يتطلب سياجاً أخلاقيّاً يحميه ويصونه، ولهذا ينبغي على الدعاة أن يتحلوا بفضائل الأخلاق، ففضائل الأخلاق وحسن تعامل الدعاة مع بعضهم، من بوابات بناء تفاهمات عميقة بين المختلفين، فلا نضيع أفكارنا الرائعة بجفاء سلوكنا وأخلاقنا.

٦- الشعور بأن ساحة الدعوة فيها من الاتساع ما تستوعب الاجتهادات الدعوية وتنوع طرائق الدعوة وأساليبها المختلفة، والشعور بالحجم الكبير للشرائح التي توجه لها الدعوة يعطي فرصةً لقبول الاجتهادات الدعوية وتنوع الطرق والأساليب فيها.

٧- لا بد من القراءة في سير العلماء الكبار واستخلاص العبر من قصص تفاهمهم فيما بينهم، وطرحها في الساحة الدعوية للتثبيت والاقتداء.

٨- ولا بد من التنبيه على أن التفاهم المطلوب يكون في حدود أبرزها:

- الاجتماع على المتفق عليه، ويعذر بعضهم بعضا فيما يسوغ فيه الخلاف.
- الاجتماع على: الاستقامة، وفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، ومحاسبة النفس حساباً دقيقاً على الطاعة والمعصية.
- الاجتماع على القضايا الكبرى للأمة والانشغال بها، ومعرفة العدو المشترك ظاهراً أو باطناً، وهذا يسهم في ردم الفجوات، ويحتم التعاون على مقارعة هؤلاء الأعداء.

المبحث الخامس
التكامل

التكامل بين الدعاة من الأمور المهمة جدًّاً في العمل الدعوي، ولو تم فهمه والعناية به لانحلت إشكاليات كثيرة بين الدعاة.

ونبرز هذا الأمر في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم التكامل بين الدعاة:

لغة: الْكَمَالُ التَّمَامُ، وَيُقَالُ: أَعْطِهِ الْمَالَ كَامَلاً أَيْ كُلَّهُ، ويقال: تكاملتِ الأشياءُ: كمَّل بعضُها بعضاً بحيث لم تحتج إلى ما يُكمِّلها من خارجها[(١)].

اصطلاحا: يختلف بالمتعلق الذي بعده، فهو في المصطلح الدعوي يقصد به:

أن تقوم الدعوة على تضافر الجهود التخصصية في الدعوة، وتجميعها، وتنظيمها بهدف الوصول للكمال في العمل الدعوي.

والفرق بين التكامل والتعاون، هو أن:

التعاون يكون في شيء واحد، فمثلاً: نتعاون في تعليم القرآن، ونتعاون في جمع المال للدعوة، ونتعاون في السعي لبناء مركز.

أما التكامل فهو أعم من التعاون لأنه عبارة عن جمع لمتفرقٍ حتى يكتمل في عملٍ واحدٍ، فيكون لدينا فئة تدعو الناس للإسلام، وفئة تعلمهم الإسلام، وفئة تنفق على الدعوة، وفئة تعلم القرآن، وفئة تعلم الفقه، وفئة تعلم النساء، وفئة تعلم الرجال.. وباجتماع تلك الجهود كلها يحصل التكامل بين الدعاة، فلا يكون الداعية الواحد هو

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٧٨، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٩٥٩، مختار الصحاح ص٣٧٣.

كل شيء؛ هو الإمام والخطيب، والمفتي، والمعلم، وجامع التبرعات وموزعها، وهو الذي يدعو الشباب والرجال والنساء والأطفال، وهو مدير المدرسة.

فالتكامل هو: تجميع للجهود الدعوية وتنظيمها للوصول للعمل الدعوي لمرتبة الكمال.

ثانياً: شواهد على التكامل:

قضية التكامل تنبع من شمولية هذا الدين، فالدين الإسلامي دين شامل لكل مناحي الحياة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وهذا ينبني عليه كثيرٌ من الواجبات التي تتطلبها الدعوة إلى الله تعالى، فلا يمكن أن يحيط داعية بكل أمور الدين والحياة، ولكن يمكن أن يتخصص كل داعية في شيء من أمور الدين والحياة ثم يكمل بعضهم بعضا بعد ذلك.

ويتضح هذا الأمر في موضوع طلب العلم والجهاد في سبيل الله -على سبيل المثال- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فقد أَمَرَ الله تعالى بتخصيص قوم لطلب العلم: قال ابن عاشور: أي: «أنه كما كان النفْرُ للغزو واجباً لأن في تركه إضاعة مصلحة الأمة؛ كذلك كان تركه من طائفة من المسلمين واجباً لأن في ذهاب جميع المسلمين للغزو إضاعة مصلحة للأمة أيضاً، **فأفاد مجموع الكلام أن النفْر للغزو واجب على الكفاية، أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه، وأن تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو**.. ولذلك كانت هذه الآية أصلاً في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من

المسلمين وجوباً على الكفاية»[١].

فالأمة المسلمة تتكامل، فيكون منها طالب العلم ويكون منها المجاهد، فينفر لطلب العلم الشرعي طائفة وطلب العلوم الأخرى التي تقيم الحياة طائفة أخرى، فلا بد من وجود الطبيب المسلم والطبيبة المسلمة، والمهندس المسلم والمترجم المسلم...الخ.

ويظهر التكامل جليا كذلك في توظيف الطاقات وتوزيعها، ليُكمِّل كل داعية أخاه في تحقيق الخلافة في الأرض، فهذا رسول الله ﷺ يوزع الجهود الدعوية للتكامل بين الأمة فيقول: **(أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)**[٢].

وفي أحاديث أخرى متفرقة، ينبه النبي ﷺ بفعله هذا التكامل الذي لا بد وأن يكون بين الدعاة، فيقول لعبدالله بن زيد رضي الله عنه عندما رأى رؤيا الأذان، قال له: **(فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك)**[٣].

لأن قوة الفهم يعتبر تخصصاً مهماً في الدعوة، دعا ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما به فقال:

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٦٠-٦١.

(٢) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب فضائل زيد (١٥٤)، ومسند أحمد ٣/ ٢٨١(١٤٠٢٢)، البيهقي في السنن ٦/ ٢١٠/ ١١٩٦٧، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٢٥)، والسلسلة الصحيحة (١٢٢٤).

(٣) مسند أحمد ٢٦/ ٢٠٤ (١٦٤٧٨) وقال شعيب الأرناؤوط: اسناده حسن، وسنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب كيفية الأذان (٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان (٧٠٦) وحسنه الألباني.

(اللهم فقهه في الدين)[١].

وطلب رسول الله ﷺ من حسان بن ثابت رضي الله عنه أن ينظم القصائد في خدمة الإسلام والدفاع عنه فقال له: (اهجهم وروح القدس معك)[٢].

وطلب النبي ﷺ من زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية ليكون مترجما له، فيقول له: (إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلم السريانية) قال: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً[٣].

ثم تجده ﷺ في باب الجهاد ينمي مقدرة الرمي عند سعد رضي الله عنه ويقول له: (ارم سعد فداك أبي وأمي)[٤]، وهذا أسلوب رفع للمعنويات، وإشادة بالطاقات والقدرات، واستخدامها في أماكنها.

فكل هذه أدوار ومجالات دعوية تحتاجها الدعوة مفترقة ومجتمعة، ولا يطلب من كل داعية أن يكون فيه كل تلك الصفات، ولكن لا بد مراعاة التكامل بين التخصصات الدعوية وأن تنشغل كل فئة أو مؤسسة بأمرٍ من أمور الدعوة، خصوصا في هذا العصر المتشعب في كل شيء فيه.

ثالثاً: أهمية التكامل بين الدعاة:

إن الداعية هو العنصر الأساس في الدعوة وبناء المجتمع أو المؤسسة الدعوية،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (١٤٣) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس (٢٤٧٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢١٣)، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب فضائل حسان (٢٤٨٦).

(٣) هذا الحديث روي بألفاظ متعددة، انظر: جامع الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تعليم السريانية (٢٧١٥)، ومسند أحمد ٥/ ١٨٢(٢١٦٢٧)، صحيح ابن حيان ١٦/ ٨٤ (٧١٣٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١٨٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن أبي وقاص (٢٤١١).

ولكن لن يحصل هذا ولن تتم النتيجة المطلوبة إلا إذا حصل تكامل بين الدعاة وتعاونوا مع بعضهم.

ولا شك أن الدعوة التي يتكامل أفرادها فيما بينهم، ويلتقون على أساس التكامل؛ دعوة تستحق أن ترقى إلى مقام الريادة، وتتسلم مقاليد الأمور؛ إذ أن تكاملهم يضيف من خلاله كل داعية إلى الآخر إضافة متميزة، ويخرجون برؤى متزنة وواقعية، وممارسات مثالية، وأعمال راقية؛ تترك أروع الأثر في العمل الدعوي.

والمنهج الدعوي النبوي في الدعوة يقرر هذه الروح التكاملية فنجد أن حامل لوائها ﷺ كان يربي ويغرس في صحابته هذه الروح الجماعية التكاملية.

ومن هذا المنطلق لا بد من التركيز على روح التكامل وبثها بين الدعاة وأن يكون جزء من ممارستنا الدعوية، للخروج بأروع النتائج، وأزكى الثمار، فقيمة العمل الدعوي وقوته، وعمقه وأصالته؛ إنما هي نابعة من أساس تكامله الذي يترتب عليه تكامل العاملين له.

ولا بد أن نعلم أنه ما تعثرت كثير من الأعمال الدعوية إلا حين، ضعفت النظرة التكاملية في التغيير والدعوة والإصلاح ترتب عليها أمرين:

١- إرادة بعض الدعاة أن يكونوا كل شيء في العمل الدعوي.

٢- نظرة انتقاص الدعاة من جهود إخوانهم الذين تخصصوا في فئة أو مجال من مجالات الدعوة، والطعن في الجهود الدعوية القائمة.

وهنا حصل الخلاف بين الدعاة والمؤسسات الدعوية، وكثرت الجماعات، فمن أسباب الخلاف -في الأصل- الخلاف في التخصص وأولويات كل مجموعة، مما ترتب عليه الانشقاق، ولو نظر كل داعية أو كل جماعة للآخر على أنه جزء من عمل

إسلامي كبير، وأن كل داعية يقوم بدور تكاملي بين إخوانه الدعاة، وكل مؤسسة تقوم بدور تكاملي مع المؤسسات الدعوية الأخرى لزالت كثير من المشكلات الدعوية.

فاختلاف التنوع بين الدعاة والمؤسسات الدعوية من مقتضيات الرحمة ومظاهرها فلا بد من استثماره بتحقيق التكامل وترك تحقير الأعمال الدعوية الأخرى.

رابعاً: الحاجة إلى التكامل:

لا بد أن يعلم الدعاة وأن تعلم المؤسسات والجماعات الدعوية أنه لا يمكنها أن يقوم بأعباء الدعوة وحدها لأسباب كثيرة أذكر منها[1]:

١ - أنه يتعذر على الداعية الإلمام بعلوم الشريعة كلها؛ مسائلها ودلائلها، ولذلك فهو في حاجة إلى غيره ممن يلم بما لم يلم به، ويطلع على ما لم يطلع عليه، فتنتفع الأمة بمجموع الدعاة الذين معه ما لا تنتفع به وحده.

٢- أن الداعية لا يمكنه أن يُوصل الدعوة إلى الناس جميعهم، ولا يقدر أن يعلمهم الخير الذي عنده وحده لكثرتهم واستحالة وصوله إليهم، وحتى لو وصل إليهم فلا يمكنه للأسباب ذاتها أن يتابعهم ويتدرج في تربيتهم، فوجود الدعاة معه كفيل بإيصالها إلى خلق الله بأكملهم وقيام حجة الله عليهم.

٣- أن الداعية معرض لما يقطعه عن دعوته، ويحرم الناس من الخير الذي كان يأتيهم من قبله؛ وعلى رأس ذلك: الموت والضلال.

٤- أن أساليب الدعاة في الدعوة إلى الله متفاوتة، وطرائقهم متباينة، والناس متباينون في تأثرهم بهم بسبب تباين أساليبهم، فالتكامل بين الدعاة إلى الله سبحانه جدير بأن يوسع نطاقها، ويسهم في قبول الناس على اختلاف نفسياتهم وأعرافهم ومستوياتهم لها.

---

(١) استفدت من بحث: الدعاة إلى الله بين التكامل والتخاذل لعبد الصمد سليمان، منشور على الشبكة.

٥- لا بد أن يعي الدعاة أن التكامل قبل أن يكون ضرورة دعوية، فهو سنة كونية، فالكون يعمل كله بقانون التكامل، وكذلك هو سنة نبوية في الدعوة.

خامساً: مجالات التكامل بين الدعاة:

١- التكامل في دعوة فئات المجتمع:

فالدعوة تحتاج إلى متخصصين في التعامل مع كل فئات المجتمع، ولن يستطيع داعية واحد أن يكون لديه القدرة النفسية ولا الوقت ولا العلم الذي يستطيع أن يلبي جميع احتياجات المدعوين، ولذا كان لا بد من متخصصين في كل فئات المجتمع، فيتخصص قوم في دعوة الشباب، وآخرون في دعوة كبار السن، وآخرون في دعوة النساء، وآخرون في دعوة العمال، وآخرون في دعوة الأطباء.. وبذلك يحصل التكامل في دعوة فئات المجتمع.

٢- التكامل في التخصص الدعوي العلمي:

فالدعوة إلى الله تحتاج إلى متخصصين في كل فن، كل فرد من الدعاة أو كل مؤسسة تقوم على سد الثغرة في هذا الفن، فتحتاج الدعوة الإمام صاحب القراءة المتميزة، والمؤذن صاحب الصوت الندي، والخطيب المؤثر، والعالم بالعقيدة والفرق، والواعظ، والعالم بالحلال والحرام، والعالم بالمواريث، والعالم في السنة.. وهكذا في كل الفنون العلمية.. لا بد من متخصصين يكمل بعضهم بعضا، ففي ظل اتساع المعرفة بكل أنواعها يصعب أن نوجد داعية أو مؤسسة دعوية يمكن أن تلم أو تؤدي كل الأدوار.

٣- التكامل في دعوة أصناف من المدعوين:

فلا بد أن يكون بين الدعاة -سواء على المستوى الفردي أو المؤسسي- من

لديه القدرة العلمية والفنية في دعوة المسلمين العصاة، وآخر في دعوة المسلمين أهل البدع، وآخر في دعوة اليهود، وآخر في دعوة النصارى، وآخر في البوذية، وهكذا في جميع الأديان والفرق.. حتى يحصل التكامل حيث لا يستطيع داعية واحد أو مؤسسة واحدة التصدي لهذا الكم الكبير من الأديان والفرق والأفكار والاتجاهات المنحرفة التي تظهر يوميا.

٤- التكامل في المسؤوليات الإدارية الدعوية:

فالدعوة تحتاج للقائد، وتحتاج للمدير وتحتاج للمشرف، ولرجال القانون، ولذوي التميز في التخطيط والتطوير، وللمتخصصين في التقنية، والمتخصصين في تنمية الموارد المالية في العمل الدعوي، والمتخصصين في تأهيل الدعاة وتطويرهم، والمتخصصين في تقديم الدراسات العلمية والمؤلفات في جميع الجوانب العلمية والتربوية، ولهذا لا بد أن يكون هناك تكامل في التخصصات والأعمال الإدارية في العمل الدعوي.

٥- التكامل في بناء الشخصية المسلمة:

لا بد أن يحصل التكامل في بناء الشخصية المسلمة، وبناء عليه لا بد من تكامل الدعاة والتخصص في بناء تلك الشخصية، فيضطلع كل داعية أو مؤسسة دعوية من موقعه بمهمة تسهم في بناء الشخصية المسلمة، والمتمثلة في البناء الشرعي في كافة العلوم الشرعية بما فيها القرآن ضبطاً وأداءً، البناء الإيماني، والبناء الأخلاقي، والبناء المعرفي والعقلي، والبناء الدعوي، فلا بد من متخصصين في كل جانب يكون بينهم تكامل في العمل.

سادساً: فوائد التكامل بين الدعاة:

- تحقيق مبدأ التعاون الجماعي الذي هو من أسمى مقاصد الشريعة.
- الرقي بالمستوى الأدائي سواء على المستوى الفردي الدعوي أو على مستوى العمل المؤسسي نتيجة اجتماع الجهود والخبرات، والإفادة من أرباب التجارب والقدرات.
- ضمان استمرارية العمل الدعوي بإذن الله تعالى؛ لعدم توقفه على فرد فإذا حصل التقصير في جانب لم يختل باقي العمل، ويحاول الفريق سد هذا التقصير.
- القرب من الموضوعية في العمل الدعوي وبرامجه، والخروج برؤىً متزنة، ونظرة واسعة بعيداً عن التفكير الأحادي، واصطباغ العمل بالفردية الجانحة.
- التكامل في العمل، والاتزان عند ظهور بعض التحديات أو المستجدات الداخلية والخارجية، والعمل بروح الفريق الواحد؛ لتجاوزها والتغلب عليها.

سابعاً: تنبيهات حول التكامل بين الدعاة:

التنبيه الأول: آفة التكامل الاعتداد بالنفس - علما وقدرة - فإذا رأى الداعية في نفسه الاستغناء والاكتفاء الذاتي عن غيره أستبد بأعماله وآرائه، وفي الحقيقة هذا من رعونات النفس الخفية، وهي من مخلفات العجب والكبر، وتجد هذا الصنف من الدعاة أزهد الناس في المشورة، وأقعدهم عن طلبها، وأقلهم عملا بها إلا ما أشرب من هواه، ولذا لا بد من علاج أمراض النفس الخفية لدى الدعاة حتى نستطيع أن نطبق التكامل.

التنبيه الثاني: التكامل المؤسسي والتنظيمي الإداري لا بد أن يكون بجانب التكامل العفوي، لأننا لن تستطيع أن نضبط كل الأعمال الدعوية تحت مظلة تكاملية واحدة.

ثامناً: مما يعين ويساعد على التكامل بين الدعاة أمور[١]:

١- الإخلاص لله والصدق معه سبحانه.

٢- طلب الآخرة والحرص عليها وترك الدنيا والزهد فيها؛ وبخاصة أن يكون زاهدا في مكانةٍ عند الناس ترنو القلوب إليها، ومنزلةٍ بين الأقران تحرص النفوس عليها.

٣- التواضع للدعاة وعدم التعالي عليهم، وتقدير كل واحد فيهم؛ فلا يحتقر من دونه، ولا يتطاول على من فوقه.

٤- أن ينظر إلى محاسن إخوانه الدعاة، ويثني عليهم بها، ويعرف لهم فضائلهم وأقدارهم، ويحاول أن يتأسى بهم فيما نبغوا فيه وامتازوا على غيرهم به.

٥- الاهتمام بالدعوة والحرص على بلوغها، أيّاً كان الـمُبلِّغ لها والمتكلم بها؛ فلا يهم الداعية من قام بالدعوة إلى الله أهو أم غيره، بل الداعية الصادق يتمنى أن يوفق الله سبحانه من تصدى للدعوة ممن هو أهلٌ لها، ويدعو الله أن يسدده ويصلح به كل من لقي.

٦- أن الدعوة إلى الله عبادة لله، وليست حكراً على أحد من الناس لا تتجاوزه، ولا خاصة بفرد منهم لا تتعداه.

٧- أن الله سبحانه يرفع قدر من يدعو إليه، وقد يرفع قدر من يدعو إلى نفسه، ولكن رفعة قدر الأول تكون دائمة في الدنيا والآخرة، متصلة غير منقطعة، أما رفعة الثاني فهي متغيرة حائلة وذاهبة زائلة.

٨- أن يحرص الداعية أن لا تكون همته في اجتماع الناس عليه، وسماعهم منه، وأخذهم عنه، وتعظيمهم له؛ لأنهم لن يغنوا عنه من الله شيئاً، فشهوة حب اجتماع الناس عليه تدفعه للأعاجيب، وتؤدي به إلى كل شيء غريب.

---

(١) استفدت من بحث بعنوان: الدعاة إلى الله بين التكامل والتخاذل لعبد الصمد سليمان منشور على موقع: التصفية والتربية السلفية.